النشاط الثقافي في الوطن العربي

من مراسلي «الآداب»

ج . م . ع .

لمراسل الآداب : سليمان فياض

مهمة موقتة ...

بدءا من هذا العدد ، والى شهور تالية قادمة ، نرجو ان تكون قليلة العدد ، ستفتقد شهرية النشاط الثقافي للآداب ، من القاهرة ، قلم محررها الدائم الناقد الصديق الاستاذ سامي خشبه ، الذي لم يكن يكتفي في شهريته بالخبر ، ولا بالتعليق عليه ، انما كان يختاره ، ويحلله ، ويناقشه كظاهرة في حياتنا الثقافية ، لها دلالتها واهميتها ، وبرؤيا مفكر ، ينطلق فيها من منهج علمي ،وبروح تقدمية صادقةومخلصة. والى ان يعود الصديق سامي خشبه من المجر ، ليحمل مرة اخرى على عاتقه ، مسئولية هذه الشهرية ، سيكون عليّ ، ايمانا مني بجدوى هذه الشهرية وقيمتها للقارىء العربي ، وبعض وفاء مني للآداب التي افسحت صدرها لي طوال ثمانية عشر عاما ، ولصاحبيها الصديقين ، ان اسدّ جانبا من الفراغ الذي سيتركه الصديق سامي خشبة ،بغياب قلمه عن تحرير هذه الشهرية ، والذي ارجو منه للآداب ، ان يحرر نظيرتها من المجر .. و .. الى حين .

تحية الى « الآداب »

مع العدد الاسبق من « الآداب » وفي شهرياته الافتتاحية اللماحة العميقة ، كانت كلمة حق صادقة ، من الدكتور سهيل ادريس ، عن ربيبته ، ورفيقة اخصب سنوات عمره « الآداب » . الكلمة كانت في ذكرى مرور عشرين سنة ، على بزوغ شمس « الآداب » في حياتنا العربية ، في النصف الثاني من القرن العشرين ، واثر احتجاب مجلتين عربيتين من حياتنا الثقافية العربية ، كانتا تصدران من القاهرة ، بعد ان ادتا دورهما طوال الربع الثاني من القرن العشرين ، في حياتنا الفكرية واستنفدنا طاقتيهما ، كمنارتين ، ومرآتين ، لجيل ما بين الحربين العالميتين . هاتان المجلتان هما : « الرسالة » و « الثقافة » ، ومن قبل كانت قد سبقتهما الى الغياب مجلة «الكتاب» ومجلة « الكاتب المصري » ، على رقي مستواهما من الناحية الفنية والمنهجية ، وعلى وفائهما بدور هام ، في اتصال المثقفين العرب ، بالثقافة الغربية ، وفاء « الرسالة » و « الثقافة » في اتصال المثقفين العرب المحدثين ، بالتراث الثقافي العربي ، وتجديد دمه وروحه ، في عروق الحاضر .

اثر هذا الاحتجاب ، طفرت الى حياتنا الفكرية ، والثقافية ، والادبية ، مجلة « الآداب » ، وعلى المستوى العام للقارىء العربي ، من محيطه الى خليجه ، وبحماس ثلاثة من المثقفين العرب : منير البعلبكي وبهيج عثمان ، ثم الدكتور سهيل ادريس ، العائد لتوه مع تجربة رواية « الحي اللاتيني » ، من دراسته العالية في باريس . ومنذ اول عدد صدر من « الآداب » ، انبهرنا كشباب خرج لتوه ، من اهاب مجلات الرسالة والثقافة ، ثم الكتاب ، والكاتب المصري ، ومن قبلهما المقتطف ، وكطليعة لادباء ما بعد الحرب العالمية الثانية وما بعد الحرب الاولى ، في سلسلة الحروب العربية الاسرائيلية ورفاق للفوران الاجتماعي الثوري والسياسي الوطني ، على اتساع الرقعة العربية كلها، انبهرنا بالمستوى الثقافي الذي حققته الآداب في هذا العدد الاول ، والمتنامي في اعدادها التالية ، عندما استقل بملكيتها وتحريرها القصاص المرهف القلم ، والناقد اللماح الذواقة الدكتور سهيل ادريس ، وعندما حدد لها ، انها مجلة ملتزمة بقضايا الفكر ، على كل صعيد للثقافة ، ملتزمة بغير تيار معين ، الا في اطارين ، اطار العروبة، واطار المستوى الثقافي لحضارة العصر الانسانية في القرن العشرين ، وملتزمة تفتح نوافذها لسائر التيارات والاتجاهات والمدارس والمذاهب ووجهات النظر ، ما دامت تتوافر لها شروط المنهجية ، والموضوعية ، ايمانا من الآداب باهمية الحوار الفكري الجاد في حياتنا ، الذي يحقق تفاعلا ويوفر تطورا على الصعيد الفكري ، وبهذه الروح ذاتها فتحت « الآداب » صفحاتها للمستويات الاصيلة من الدراسة ، والنقد ، من الشعر والقصة والمسرحية ، ورحبت بسائر الاقلام العربية الجادة ، الناضجة ، والواعدة ايضا ، ومن سائر الاقطار العربية الشقيقة ، ومن مختلف الاجيال الثقافية في قرننا العشرين ، ممن توفر لهم الرؤيا الناضجة ، والروح المخلصة ، لواقعنا العربي ، ووجودنا الانساني .

واستطاعت الآداب ، طوال سنواتها العشرين ، وباصرار عنيد ، ومستميت ، وبنشاط دائب ، ان تشق طريقها الى القارىء ، وتواصل السير اليه ، عددا بعد عدد ، غازية كل العواصم العربية الكبرى ، بمستواها ، واقلام طلائعها المتلاحقة ، وان تحقق لاول مرة ، في تاريخ المجلات الادبية العربية ، ما لم تصل الى عشره ، اية مجلة عربية اخرى، كمجلة « الرسالة » الزياتية ، في عز ازدهارها ، بل ما لم تصل الى مثله ، او دون نصف هذا المثل ، اية مجلة ادبية عربية ، في سنوات الخمسينيات والستينيات ، على ارتفاع مستوى بعضها مثل مجلة « الموقف الادبي » . ولاول مرة ، ومن خلال الآداب ، يرتبط المثقفون العرب ببعضهم البعض اصدقاء فكر وقلم ، رفاق ابداع ومحاورة ، قارئين وناقدين . لقد انهارت الحدود العربية المصطنعة ، على صفحات الآداب ، واتضحت بعض التطلعات المتشوقة من المثقفين في كل قطر عربي ، الى كل قطر عربي آخر .

وامتدت جسور الفكر عبر الحبر والورق ، بين رفاق اعداد الآداب المتوالية ، ومع هذا الامتداد ، ولدت المؤتمرات الادبية العربية ، وتوارت الى الصفوف الخلفية اللهجات العامية الاقليمية ،التي كانت قد بدأت غزوها للشعر وللقصة وللمسرحية ، في الاقطار العربية الممزقة، امام شعور الكاتب العربي الجديد ، بالقارىء العربي العام ، وامام شعوره بوحدة اللغة التي تربط ، كوسيلة تعبير مشتركة ، بين اكثر من مائة مليون من البشر ، وصار الناقد العربي ، ناقدا للشعر العربي ، وللقصة العربية ، وللمسرح العربي ، وليس فقط لهذه الاشكال الادبية في وطنه الصغير ، وتقاربت مسافات الابداع الادبي بين المبدعين العرب على اختلاف اقطارهم ، وتعدد بلدانهم ، ومنابعهم ، وخصائصهم الشعبية المميزة ، تأثيرا وتأثرا ، نقدا ومناقشة ، حوارا فكريا ، ومعارك ادبية خصبة ومثمرة .

اجتازت الآداب في سنواتها العشرين الماضية ، صعابا وعقبات ، من القيود الاقليمية المفروضة على الكتب والمجلات ، وتحملت صواعق المنع والمصادرة ، وصمدت لبروق العواصف المتصارعة ، اجتماعيا وسياسيا بين اقطار العروبة ، المتعددة المستويات الحضارية والسياسية بين الرجعية والتقدم ، والميل الى الماضي ، والانجذاب الى المستقبل ،

بين تقلب العهود وتغير الامزجة والسياسات . امتصت ذلك كله بدماء فتية ، وظلت تواصل رسالتها ، تكملها لبنة بعد لبنة ، كلمة بعد كلمة ، في وعي القارىء العربي ، الذي هو قاعدة الطليعة للامة كلها .

انقذت الآداب كثيرا من الاقلام العربية الواعدة ، والمواهب الناشئة ، من الضياع ، بالصمت ، او باليأس بعد المحاولة للتحقق ، فتحت صفحاتها لهم مشجعة ، ومستزيدة ، متعاطفة ومتضامنة ، مقدرة لها جهد المحاولة وجودتها ، حتى استوى منها العود ، وجاوزت مرحلة الصبا والشباب ، الى مرحلة النضج والاكتمال . ومن خلال هذا الجهد الراعي الدءوب من الآداب ، ولدت اكثر الاقلام العربية الان ، التي نقرأ لها من سائر اقطار العروبة ، من الشعراء ، والقصاصين ، والنقاد . لمعت اسماء اصحابها وحظيت بالتقدير الادبي العريض ، حين كانت كل الظروف الخاصة والعامة ، لا تتيح لها فرصة الاستمرار ، على الاقل بهذا التواصل المنتظم ، بهذه المحاولة الدائمة للتطور والنضج . فرضت اتجاهاتهم الجديدة في الرؤيا والشكل والمضمون معا ، على الحياة الثقافية العربية الكلاسيكية القديمة ، والكلاسيكية الجديدة ، وعلى القارىء العربي ، حتى تطور ذوقه العام ، الى القبول برؤاهم وتجاربهم والتقبل لجهدهم وعوالمهم ومغامراتهم . وصلتهم بخير ما في التقييم الفكري المعاصر ، لتراثنا العربي ، وباتجاهات العصر الفكرية والادبية والفنية ، خارج عوالمنا ، في الآداب الفرنسية والانجليزية ، بصفة خاصة ، جعلت قراءهم الالف في اوطانهم الصغيرة آلافا عديدة ، في وطنهم الكبير ، بل وفي مهاجر ابناء وطنهم ، وحيثما وجدت للعلم جامعة ، وللكتاب مكتبة .

ومن الآداب ، ولدت دار الآداب ، ناشرة للدراسات المثقفين العرب وابداعاتهم ، جامعة لانتاجهم المؤلف والمترجم في كتب ودواوين ومجاميع وروايات ، متقصية كالآداب ، الآفاق الرحبة ، والمستويات الجيدة ، لا اقل منها ، باحثة عن الاعمق والاصل ، والاكثر اثرا ، جاعلة من الآداب ، اعلامها لهم ، وتعريفها بهم .

ووراء الآداب ، ودار الآداب ، كان ، وما يزال ، جهد فدائي خارق ، من الفنانين روحا وذوقا وقلما ، صاحبي الآداب : سهيل وعايده . خافقا من شعلة الفن في روحهما ، ضحيا بالكثير من طموحاتهما الادبية الخاصة ، من اجل الغير : الكاتب العربي ، والقارىء العربي . احدهما يشد ازر الآخر ، احدهما يواجه العقبات عقبة بعد عقبة ، باحثا عن المواهب الجديدة ، والاقلام الشابة ، والآخر يرعاها معه ، ويفرش لها دروبها بالوعود والمنى ، يصلها كروافد بنهر الآداب ، يدعها تصب في الارض العربية ، في العقل العربي ، في الوجدان العربي ، يصنع منها نهيرات تغترف منها اكف قرائنا العرب ، اينما كانوا ،وحينما شاءوا .

القاهرة ، كانت اكثر الاصوات وجودا وفعلا وتحققا على صفحات الآداب ، أقلام بنيها وبناتها ، طوال مسيرة الاعوام العشرين . ابناء العاصمة الام ، للعرب ، في قرننا العشرين . والقاهرة ، ومصر من ورائها ، ما تزال الاقل قراءة للآداب ، في سنوات الثورة العشرين . واصدقاء الآداب في القاهرة ، يحتفلون في الذكرى ، بالعدد الاسبق من الآداب ، العدد الواحد والاربعين بعد المائتين . واحتفالي بالآداب احتفال خاص ، لا يشاركني فيه أحد . فعلى صفحاتها عام ١٩٥٤ ، نشرت لي اول قصة ، من باب التشجيع ، كطاقة كتب لصاحبها رئيس التحرير ، أنها موهبة واعدة . وعلى صفحاتها نشرت ثلاثين قصة قصيرة، وطويلة ، من بين اثنتين وثلاثين قصة ، هي كل ما كتبتها ،حتى لاحس بالذنب ، وانا اجرؤ على نشر قصة ، سبق نشرها بالقاهرة ، لانها لم تنشر بالآداب ، ولان قارئي العربي الذي اعتدته واحببته ،لم اقدمها له، بخجل ، وعلى أمل .

عن الآداب ، في نفسي ، وانفس رفاقي في مصر ، من اصدقاء الآداب ، كتابها وتلاميذها وقراءها في وقت واحد ، كتبت . للآداب اتمنى أعواما عشرين جديدة . للآداب دعوتي لصاحبيها ، وللمسئولين عن التوزيع والثقافة في جمهوريتنا العربية ، لكي تصل الى كل قارىء عربي جاد ، في عواصم الاقاليم المصرية ، لكي تفتح صدرها كما فعلت معنا في الخمسينات والستينات ، لقصاصينا العرب الجديدين الآخرين ، في مصرنا العربية : بهاء طاهر ، وغالب هلسا ، وعبدالحكيم قاسم ، ومحمد المنسى قنديل ، وسعيد الكفراوي ، ورمضان جميل . لصاحبي الآداب تحية المثقفين ، بالقاهرة ، لنضالهما بالآداب من اجلنا ، كتابا وقـراء .

« الروائي والارض »

كتاب نقدي يفوز بجائزة الدولة التشجيعية ،هذا العام عن عام ١٩٧١ . الكتاب هو « الروائي والارض » للناقد الجامعي الدكتور عبدالمحسن طه بدر . المدرس بالقسم العربي بكلية الآداب ، بجامعة القاهرة . وهو احد نقاد سنوات الستينيات البارزين في حقل النقد الادبي ، سواء في داخل الجامعة او خارجها ، بالكلمة المكتوبة. والمناقشات النقدية الجادة التي يثيرها دائما في لقياءاته بتلاميذه من طلبة الجامعة ، واصدقائه من كتاب الستينيات ، والاجيال الشابة الجنينية التالية . وقد لفت اسم عبدالمحسن بدر كناقد ، انظار قراء الآداب ، في سنوات تكونه الثقافي ، بمقالاته النقدية الاولى ، الجريئة عقليا ، والمتعمقة بجدلها المنطقي الجريء والساخر والحاد، وبتعليقاته النقدية القليلة ، على الوان من موضوعات باب الآداب الشهري والثابت : « قرأت العدد الماضي » . وشارك عبدالمحسن بدر في الحياة الثقافية ، والنشاط الادبي ، بالقاهرة في السنوات التي تواجد فيها بالقاهرة ، وبلبنان في العامين اللذين اقامهما ببيروت ،وبانجلترا في العامين اللذين قضاهما بين الجاليات العربية في لندن، ساهم في هذه الحياة وذلك النشاط كمناقش عقلاني صبور ودؤوب . ودارس متأثر بضرور من الحياة والوان من الثقافة ، وانماط من مناهج التفكير والبحث ،ومعلم مؤثر بآرائه واستنتاجاته القابلة ابدا بتواضع للجدل والمناقشة ، اكثر بكثير من جهوده النقدية المكتوبة ، طوال ما يزيد على خمسة عشر عاما ، مسجلا الى جوار لقاءاته الفكرية والادبية ، وكتاباته النقدية مواقف حية وشجاعة في حياتنا السياسية ، على صعيد الكفاح العربي ، ومؤازرة المقاومة الفلسطينية، بجهوده المادية والمعنوية ، في سلوكه اليومي . داعما باسمه ، وبنشاطه ، في حياتنا الثقافية والادبية ، اكثر من مجلس للتحرير بمجلتين قاهريتين هما : مجلة « المجلة » الادبية ، ومجلة« الكاتب »التي تتبنى كمجلة « الطليعة » قضية « الفكر السياسي » بالدرجة الاولى ، وربما كانت لهذه الجهود ـ بل ان هذا بالتأكيد هو السبب ـ اثرها في قلة كتاباته ، التي اوشكت ان تكون انقطاعا عن الممارسة المكتوبة للنقد ، والاكثر فائدة ، لاعرض قطاعات ، طوال ما يقرب من عشر سنوات ، امتصته فيها تقريبا الحياة الجامعية ،والحياة النضالية خارج اطار الجامعة ، بين عاصمتين عربيتين ، واخرى اوروبية . لكن من المؤكد ان هذه الجهود قد اتاحت له فرصا عديدة لمزيد من مراجعة النفس ، والتأمل ، ومحاولة الوصول الى نظرية نقدية جمالية ، وتطبيقها على مستوى الشعر والرواية في وقت واحد . وهي المحاولة التي ظهر صداها مؤخرا في كتابي عبد المحسن بدر « الاديب والواقع » ، وهو كتابه الثاني ،وهذا الكتاب الثالث له ، الفائز بجائزة الدولة التشجيعية هذا العام ، في مجال النقد الادبي ، كتاب « الروائي والارض » . وذلك بعد رسالته الجامعية لنيل درجة الماجستير التي لم تطبع بعد ، والتي كان موضوعها : « تطور الشعر المصري الحديث » وبعد رسالته المطبوعة

لنيل درجة الدكتوراه ، وكان عنوانها هو :« تطور الرواية العربية الحديثة في مصر » من بدايتها الى عام ١٩٣٨ .

وهذا الكتاب « الروائي والارض » ، هو اهم كتب الناقد عبد المحسن بدر ، الثلاثة ، او الاربعة ، هو الكتاب الذي جاء ثمرة لحياة فكرية وعملية خصبة ومثمرة ، وذروة حتى الان لكتبه السابقة ، وتنظيرا اكثر وضوحا لفكرته عن علاقة الاديب بالواقع او الذات بالموضوع ، كقيمة نقدية وجمالية ، وزاوية نقدية ، لرؤية الرؤية نفسها في عمل الكاتب ، ولعمله ، شعرا كان هذا العمل ، او قصة قصيرة ، او رواية طويلة . وحصول هذا الكتاب الذي يصل عدد صفحاته الى اكثر من مائتين وخمس وعشرين صفحة ، من القطع الكبير . على جائزة الدولة التشجيعية في النقد ، هو احد العلامات والظواهر المشرفة القليلة في تاريخ المجلس الاعلى بالقاهرة ، للاداب والفنون والعلوم الاجتماعية ، حين افلت هذا الكتاب من التوصية العرضية بمنحه جائزة اخرى « اذا امكن » ، لينضم بدوره كواحد من كتاب الخمسينات ، او ما اصطلح على تسميتهم بالجيل الاوسط الضائع ، الذي سقط نقديا – كما اعتادوا ان يقولوا – في ظلال مندور ، والقط ، والعالم ، وابداعيا في ظلال نجيب محفوظ ،ويوسف ادريس ، ويحيي حقي ، الى اخرين من كتاب القصة القصيرة المجيدين الذين كان من حظهم مع جوائز المجلس « جائزة اذا امكن » التي اصبحت احدى الجوائز الادبية المعطاة ، في تقارير لجان المجلس التاريخية ، ربما لحجة قانونية ، غير منطقية ، تقول انه لا يجوز نقل قيمة جائزة محجوبة ، من فرع من فروع الجوائز التشجيعية ، الى فرع اخر .

عن مدى علاقة الاديب بالواقع ، او الذات الادبية للكاتب بالموضوع، او الرؤية المعنوية من الاديب للواقع ، كتب عبدالمحسن مقدمة نقدية ، تنظيرية ، هي بمثابة رؤيا منطقية واجتماعية ، تحاول ان تكون فنية وجمالية ، لرؤى الكتاب ، كذوات ، للعالم ، توافق على بعضها السليم صحيا ، واجتماعيا ، في نظرتها للواقع ، وتدين البعض الاخر ، وهو معظم رؤى الكتاب في العالم ، او على الاقل في عصرنا الحديث ، في القرن العشرين . او تحكم عليها في احسن الفروض بانها اسلوب لرؤية الواقع ومعرفته ، ولكنه ليس الاسلوب المثالي .

فالاسلوب المثالي في رؤية الواقع ، وبالضرورة – في فرض الكاتب ، وبناء على بضعة اعمال روائية مختارة من انحاء العالم – في نجاح الكاتب في التعبير الفني الصادق والعميق عنه ، ان تتحد الذات بالموضوع ، بل ان تتلاشى فيه ، وتحتجب وراءه ، لتراه كما هو وتقدمه كما هو بصدق وعمق ، من خلال احساس بالواقع عميق وصادق ، وذلك وحده من الكاتب ، ما يؤدي الى وقوف هذا الفنان والاديب موقفا تقدميا وانسانيا وهو حر في اختيار ادوات فنه ،طالما ان هذه الادوات قادرة على الكشف عن رؤيته ، وتوصيلها الينا ».

وبهذا الفرض النقدي ، تنتفي شروط الصحة والسلامة لرؤى عديدة مخالفة ، لانها مسطحة ، او تقليدية ، او ناقصة ،او مشوهة، او تجتر قيم عالمها الراهن ، او لا يرى فيها الفنان سوى شخصيته المتضخمة ، المنعزلة ، الرمادية ، المتعالية او لا يرى فيها الفنان العالم ! لا كتلة من العبث والفوضى والاضطراب . وكل هذه الرؤى المرفوضة من الكاتب ، لانها تقتضي منا « ان نتفق مع الفنان سلفا على مقدمة ما ، او على مسلمة خارجة عن العمل الفني ، حتى نستطيع ان ندخل الى عالمه ، وان نتقبله » ، يرى الكاتب انه « لا بد من تواطؤ مسبق بيننا وبينه (الكاتب) حتى نستطيع الاقتناع بعالمه، والسير في دربه » ، فنقبل منه وصفنا باننا جهلة وادواتنا .او تصوره الفكري المجرد المسبق عن العالم ، او نتفق « مع المؤلف على اننا نعيش في كابوس ثقيل ، او في حلم ، او ان العالم قد فقد معناه او منطقه ، وان البشر قد تحولوا الى فراتيت او صراصير . وبدون هذا الاتفاق المبدئي يكون من الصعب علينا ان نقبل هذه الاعمال الفنية » .

هذا الفرض الذي يسوق له الناقد المقدمات ، ويرتب عليه النتائج ، ويضع به شروط السلامة والصحة للعمل ، لا فكريا واجتماعيا فقط ، وانما فنيا وجماليا ايضا ، فرض يثير الكثير من الاسئلة ، لانه يقول بالقبول لتعدد الرؤى ، ويحجرها في وقت واحد، ولانه يبسط القضية بل القضايا النقدية او الجمالية كلها ،في صك فكري او اجتماعي ، يمنح او لا يمنح ، تسقط به كل الاعمال الفنية التي تختلف في رؤيتها للواقع ، عن رؤية الناقد ، في الماضي ،وفي الحاضر ، يشجب به كل التجارب ، او يصمها على الاقل بالقصور في الرؤية للواقع او في نقص هذه الرؤية وتشوهها ، او بالذاتية المتضخمة حتى ليمكن بهذا القياس ان تلغي، بسبب الادانة للرؤى، والذاتية ، كثيرا من الاعمال الادبية العالم ، لكافكا وجويس ومارسيل وجورجيو وفرجينيا وولف وتوماس مان وداريل ، بل وسائر الاعمال الادبية المعاصرة ، التي وقعت في اسر الرؤى المخالفة او الذاتية، والتي ربما كان نجاحها راجعا الى هذه المخالفة وتلك الذاتية .

وبهذا الفرض ، المتعقل اكثر مما ينبغي ، تصبح الاعمال الادبية مجرد رؤى ، كالمصابيح الكهربية ، والفن فيها شيء تال لها ، مجرد وسائل علمية ، كمفاتيح الاضاءة والاسلاك .

واذا كان عبدالمحسن بدر ، قد نجح الى حد ما ، في تطبيق فرضيته هذه على روايات : « زينب » لهيكل و« يوميات نائب في الارياف » للحكيم ، و« الارض » و) الفلاح (للشرقاوي و « ايام الانسان السبعة » ، لعبدالحكيم قاسم . والاولى كانت « رؤية رومانسية للواقع » والثانية كانت « رؤية فكرية مثالية » له ، والثالثة والرابعة كانتا مسيرتين « نحو رؤية واقعية » ، للواقع والخامسة كانت ، بعينها « الرؤية الواقعية » للواقع ، برغم اشارة الكاتب لذاتية المؤلف فيها ، وللعلاقة بينه وبين بطلها « عبدالعزيز » ، واعتباره أن روايته التالية التي لم يرها بعد ، هي التحدي الحقيقي الذي سيواجهه ربما ايماء منه الى احتمال ان يكون النضج الفني في « أيام الانسان السبعة » راجعا لارتباط الموضوع والبطل بالكاتب ، لتجربته الذاتية فيها . هذا النجاح في التطبيق ، هو نجاح للفنان في الناقد ، وفي تذوقه للعمل الادبي ، برغم فرضيته النقدية ، وتنظيره الجمالي ، وهو ايضا نجاح العقلية الجامعية المنهجية المنظمة ، وذلك النجاح الخادع بحيثياته ، وقانونه المسبق، ومقياسه الصارم . الذي يحتاج منا ايضا الى « الاتفاق معه عليه »، حاجته الى الاتفاق مع الكتاب المرفوضين منه ، او المبعدين عنه، برؤاهم ، الا « كاسلوب للتعرف على العالم » ، على رؤاهم ، وعوالمهم الذاتية المتضخمة ، وحاجته الى رؤية « اوسع واعمق واصدق » واكثر « تركيبا » . لطبيعة العمل الفني ، وادواته ، ووظيفته والتصاق الرؤية بالتجربة ، والوسائل بالتعبير عنها ، فيصبح دوره دور الشاهد السائح والفضولي ، ودور المتعرف الذي يكتشف عالم الكاتب ويتعرف اليه ، والى اسرار عمله ، ومن داخله ، رؤية وتجربة ومعالجة .دور القارىء اولا . فلا يكون دوره المسبق ، وبالقانون ايضا ، هو دور القاضي . دور الناقد السياسي او الاجتماعي الملتزم سلفا بفكرة مسبقة حيال العمل الادبي .

تلك هي ملاحظتي ، التي يسعدني ان تكون مجرد دعوة ، وليست تعليقا او نقدا ، اتحرز منهما ما استطعت ، لنقادنا الدارسين والمتذوقين ، ليبدوا رأيهم الذي لم اسمعه بعد ، ولم اقراه من قبل ، فيهذه الدراسة النقدية ، الحافلة بالكثير ، مما يستدعي المناقشة والمحاورة ، ابداءهم لرايهم فيما نكتبه من اشعار وقصص ، نطالب

حيالها ، بان نعتبر ما كتبناه من قصص واشعار ، اعمالا قد ماتت بالنسبة لنا ، واصبحت ملكا للنقاد ، ونتهم منهم بالحساسية او بالتدخل في حرية النقد ، اذا حاولنا ان نفتح افواهنا ، او نخط سطورا ، نعبر بها عن رأينا ، فيما يقولون .

*

« العودة الى المنفى » ، ومؤلفها الشاب « ابو المعاطي ابو النجا » الذي فاز عنها بجائزة الدولة التشجيعية في عام ١٩٧٢ ،عن عام ١٩٧٠ .. وعن قضية المجلات الادبية في القاهرة ، واقعها ، ومحنتها ، واغتراب الاديب المصري بغيابها ، وهشاشة ما تبقى منها، سيكون التعليق في هذا الباب ، بالعدد القادم من الآداب .

سليمان فياض

العراق

رسالة من : ماجد السامرائي

ثقافتنا .. والطاحون ..

اذا عمدت الى تأمل الحياة الثقافية في العراق اليوم تأملا دقيقا ، فانها ستبدو لك ، في كثير من جوانبها ، سطحا هادئا ، لا تثيره حتى « الرياح العكسية » التي تهب عليه من هنا وهناك.. في أحيان كثيرة ... وهو أمر لافت للنظر ..

.. ترى ماذا حدث ؟ بماذا ينشغل الادباء والمثقفون ؟ ماهي همومهم ؟ وماذا تكتب الصحافة الادبية ؟

أسئلة كثيرة تختصر نفسها في كلمات قلائل .. ولكنها كبيرة حين تفكر في جواب دقيق لها وعنها . لانها اجابات ستحمل التشخيص لكل ما في هذا الواقع من ملابسات ، وسلبيات ، وحتى ضحالة .. يخلقها الادباء انفسهم ..

على أن عدم الاجابة الآن ــ وربما اكون اجبت من قبل في رسالة سابقة ــ لا تعني اهمال هذا الوضع ، وتركه ضمن مساره الحاضر ، والذي لا يرسم معالم مستقبل ادبي واضح . ولعل الذي يتحمل مسؤولية هذا الوضع الثقافي الذي طغت فيه الكمية على النوع جهات عديدة : وزارة الاعلام التي عليها أن توجد صيغة جديدة لما تنشره ، آخذة بنظر الاعتبار أهميته بالنسبة للمرحلة الحضارية الراهنة . اتحاد الادباء الذي عليه ان ينتفض على جموده ، وروتينية اماسيه وندواته . الصحافة الادبية وما يجب ان تطرحه من قيمحقيقية.. واخيرا : الادباء أنفسهم ، بحرصهم على أن يكونوا اوفياء لرسالة الادب الحقة ..

ان الصحف تصدر يوميا .. كما تصدر المجلات في اوقاتمحددة أو غير محددة ، والصفحات الادبية لهذه الصحف ليس فيها مكان خال للاعلانات . والمجلات بدورها تأتي « حافلة » بالقصة ، والمقالة، والشعر .. والقليل من الدراسات المتعمقة الجادة (ربما لانها تتطلب وقتا اطول للتأمل والكتابة !) ولكن .. هل يحمل كل هذا تأثيره على الوضع الثقافي ؟

.. الذي يبدو أنه يمر ، وبشكل روتيني ، في حياة الجميع . الكل يقرأ .. والكل يسمع .. والكل يتحدث .. والقليل من يفكر بشيء أبعد من حدود « ما يدخل الجيب » .

والهموم ــ هموم الادباء والمثقفين ــ كثيرة .. ولكنها ليست هموما ذاتية ، في الغالب ، ليمكن ان تقود الى نقلة في الحياة الثقافية ، أو لتكون عاملا من عوامل التنشيط الادبي . انها هموم غير موضوعية ، في غالبها . ومن هنا تأتي السهولة في التفكير ، والسهولة في الكتابة ، حيث تجد السهولة في النشر ايضا ! ..وهو ما يقود الكثيرين اليوم للتحدث عن تجاربهم (المحدودة) حديث من أوجد نظرية ، او اكتشف قانونا .. وعن آفاقهم (التي هي ادنىاليهم من سقوف بيوتهم) وكانها افاق تشيكوف ، أو اليوت .. وعن « فتوحاتهم » الكبيرة ، والكثيرة .. وهي ، في واقعها ، ليست اكثر من احلام مشوبة بالكثير من الهلوسة ، والامراض الذاتية .

تجد هذا عند كثير من الشعراء ، والقصاصين ، والمسرحيين، والرسامين .. فيبدون لك وكأنهم يحاولون أن يصنعوا من الخرافات التي تمتليء بها رؤوسهم مسائل حقيقية . اما وسائل اقناع الاخرين بها ، فهي السيولة التي لا تنقطع من النشر .. نشر الكلام ،والاخبار، والصور ، تتصفق لهم الايدي ، وتجعل منهم عظماء يدخلون « تاريخ الادب » ، وفي الغد تنتظرهم ازاميل النحاتين .. وكأنهم احداكتشافات عصر الذرة !

كل هذا .. والصحافة الادبية تستعرض هذا الكتاب او ذاك ، وتثير (اثارة خفيفة لا تزعج احدا) هذه المسألة الهامشية . وتكتب كلاما مكرورا معادا عن ازرا باوند ، ولورنس ، وهمنغواي ، وستانسلافسكي ... واذا ما أرادت التعرض لهذه القضية ،فهو تعرض من لا يريد أن يثير غضب اي كان .

* * *

هذه القضية تقود الى رصد ظاهرة لفتت الانتباه مؤخرا في الصحافة العراقية (اليومية والاسبوعية) ، وهي غياب الشعر من صفحاتها الادبية .

لماذا ؟..

الامر عندي احد اثنين :

ــ اما أن نضوبا اكيدا أصاب « الشاعرية العراقية » لينحسر عطاؤها بعد موجة مد كبيرة شهد العامان الماضيان تصاعدها (الكمي طبعا) ..

ــ واما أن ما يكتب اليوم من شعر هو « دون المستوى » الذي تقرره الصحافة الادبية لنفسها ، بحيث لا تجد مسوغا حقيقيا لنشره..

وسواء أكان السبب هذا أم ذاك .. أم كان سببا آخر نجهله ، فانه لم يثر قط من التساؤل ما يمكن ان يشير الى اهتمام حقيقي وفعلي من الادباء انفسهم بما ينشر ... هذا على الرغم من ازدحام المقاهي النسبي بالكثيرين منهم .. حيث يستهلك الزمن بمناقشات هي من قبيل « تزجية اوقات الفراغ » ، ولكن بما لا ينفع او يجدي ..

من بيروت الى بغداد :

كان حديث الشاعر عبدالوهاب البياتي لمجلة « الاسبوعالعربي » في احد اعداد شهر كانون الاول (١٩٧٢) مثارا لمثل هذا النوع من « أحاديث المجالس » . لا يناقشون قيمة الاراء التي طرحها بكثيرين من الشعراء . وانما « حديث تسلية » . وقد انتقلت موجة هذا « الحديث الزوبعة » الى بغداد ، كما انتقلت الى عواصم عربية اخرى . ويبدو ان البياتي اراد ان يحرك هذا « السطح الراكد » للحياة الادبية ، لكن حديثه أخطأ السبيل حين اتجه الى مهاجمة « السلوك الشخصي » لمن تناولهم . وكان يمكن ان يكون اكثر جدوى وفاعلية لو تناول الظواهر الادبية والشعرية السائدة اليوم ، والتي كان كثير ممن تحدث عنهم أبرز اسبابها . ومن هنا يمكن القول : ان « النار » التي فتحها البياتي على زملائه الشعراء اصابت جلودهم ، ولم تصب شيئا آخر فيهم ..

وحتى هذا الحديث بالشكل الذي جاء فيه كان يمكن ان يتحـول الى ما هو اكبر .. الى مناقشة القيمة الحقيقية التي يقدمها شعـر اليوم . غير أن شيئا من هذا لم يحدث . فالبياتي اتهم ، والشعراء الآخرون اتهموا البياتي ، وردوا عليه بنزعة تشوبها روح عشائريـة ، أو نعرة قبليه .. ترد على الهجوم بهجوم مثله .. بينما بقيت« قضية الشعر » معزولة ، على الرغم من ان الصحافة الادبية ، سواء فـي العراق أو الوطن العربي ، أستهلكت الكثير من اعمدتهـا وصفحاتهـا في نقل « اخبار المعركة » ، والتعليق الهامشي عليها .

انها مسألة تمثل منتهى البؤس ، الادبي والفكري .

ولم يكتف البياتي بذلك الهجوم .. اذ عاد مرة اخرى ، ليكـون اكثر تعميما بعد ذلك « التخصيص » ، حين نشر في العدد الاخيـر من مجلة « الكلمة » مقالا عن « عصابات المافيا الادبية » ، كما اطلق على مجموعة من الشعراء ، هاجم فيه عددا ممن هجروا اوطانهـم .. وبالاخص اولئك المقيمين في بيروت . ورأى ان « الملاحظ على هؤلاء - باستثناء واحد منهم - واسمه مكتوب في سجل النضال الحقيقي(1)- أنهم ليسوا ثوارا أو مناضلين على الاطلاق ، كما انهم لا يمارسـون اي عمل حقيقي ، كما ان أيا منهم لم يضطهد في وطنه ، او تسد في وجهه ابواب العمل ، بل انهمكانوا مدللين ، وبعضهم كان يجلس على يمين السلطان او يساره .»

وتمضي مقالة البياتي على هذه الوتيرة من كيـل الاتهامـات ، وبنفس « الروحية » توجه اتهامات اخرى الى هذه « الاسماء ». فهو حين يتساءل عن مصدر « رزق » هؤلاء ، يجيب بأنهم يقفون وراء تلك « الاسماء المستعارة وغير المستعارة التي تكتب في الصحف والمجلات اليومية والاسبوعية والشهرية التي تصدر في هذه العاصمة - بيروت- باموال حكومات جهات العالم الاربع » .

ويذهب البياتي في مقالته هذه الى « ان قوى الظلام والامبريالية والرجعية المحلية والعالمية تكتفي احيانا من هذا الاديب أو ذاك بشراء سكوته - اذا كان لا يملك الشجاعة في تجنيد نفسه لها بشكل سافـر ومكشوف - أو تكتفي بشراء توقيعه المستعار ، أو تكتفي بشراء ما يكتبه عن الشعر والادب والفن من بحوث ومقالات ودراسات يشكك فيهـا بأصالة الادب الثوري (بشعارات ومصطلحات ثورية زائفة مضادة) ».

وفي نفس العدد من « الكلمة » كتب محمد الفيتوري كلمـة تحت عنوان : « عبد الوهاب البياتي يدق نواقيس الشعر » ، ذهب فيها الى أن جريمة البياتي « أنه أسقط أقنعة طابور طويل من الشعـراء حتى بدا عاريا وجه الكاهن ، وسارق اكفان الموتى ، والفضولي ،وماسح أحذية السادة ، والمدلك ، ومهرج المحافل والاعراس » ...

« ان حديثه - والكلام للفيتوري عن البياتي فـي وجوه ذلـك الحشد المتكلس من الشعراء انما يفجر ويحرك ويطلق شرارة النـار المقدسة ، في ارض توشك ان تصبح ارضا موبوءة بالنفـاق والخوف والادعاء » .

وتبقى الآراء اجتهادية .. ويبقى الصمت حيال ما يحـدث صمتا يشير الى اكثر من مسألة تتصل بهذا الواقع الثقافي ، وبناه ، وتركيبه . ويبقى المتهم الاول في كل هذا ادبنا .. بينما تظلمشكلتنا الكبرى في حياتنا الثقافية هي القفز فوق المشاكل .. وتظل الاشـارة الى ركود « الذهنية المبدعة » هي علامة الخطر في مستقبل هـذه الحياة .. وحاضرها أيضا .. بينما الطاحون يدور ..

بغـداد — **ماجد صالح السامرائي**

---

(1) أعتقد أن الاشارة هنا الى محمد الفيتوري ..

تونس

رسالة من محمد بلحسن

الثقافة الجزائرية في تونس

اقيم في الشهر الماضي في تونس اسبوع ثقافي جزائري اشتمل على مجموعة من التظاهرات الثقافية والفنية المتنوعة التي تمثل الوانا مـن الثقافة والحضارة الجزائرية الاصيلة من أدب ومسرح وسينما ورسـم وموسيقى . فتعرف الجمهور التونسي على ملامح جمة وثرية من ثقافة القطر الشقيق وآدابه وفنونه . اذ ان تقديم العروض لم يقتصر علـى تونس العاصمة بل تجاوزها الى أهم مدن الجمهورية التونسية تطبيقا لسياسة اللامركزية ، وهذه بادرة طيبة وهامة اذ ان الجماهير الشعبية في كل المناطق تعتبر الهدف لكل تعاون ، والثقافة جسر هام للاخوة والحوار وتقريب الشقة جيلا بعد جيل الى اكثر ما يمكن من التآلـف والاتفاق .

وتألف الوفد الثقافي الجزائري من ١٥٨ عضوا ينتمون الى مختلف القطاعات الثقافية من اساتذة وممثلين مسرحيين ومخرجين ورسامين وصحافيين وموسيقيين . وكلهم حرصوا في اطار هذا الاسبوع على تقديم صور حية عن مختلف اوجه الثقافة الجزائرية من المحاضرة الى الكتاب ومن المسرح الى السينما ومن الفن التشكيلي الى الموسيقى بنوعيهـا العتيق والحديث . وقد صدر الوفد الثقافي برنامج الاسبوع الجزائري بهذه الكلمة : « ان علاقات الاخوة والروابط العديدة في مختلف الميادين بين شعبي الجزائر وتونس ترجع في اصولها الى اعماق التاريخ ، وقد أكد ذلك ودعمه ما بين البلدين الشقيقين من صلات الدم واللغة والدين والجوار . ولقد كان لاشتراكنا في لغة واحدة أثر بالغ في تمتيـن العلاقات الثقافية التي انطبع بها تاريخنا المشترك ، وتتمثل هـذه العلاقات بقيام تبادل علمي وثقافي تميز بطابع العفوية . مما كان له فضل كبير على الازدهار الحضاري في البلدين الشقيقين ..

وتماشيا مع هذه الروح وسيرا في هذا السبيل تعمل الجزائر على تدعيم ما كان قائما وتشييد صروح متينة جديدة تستمر من خلالهـا العلاقات الثقافية بين البلدين حتى تؤدي الثقافة دورها كاملا لتحقيق اهداف شعبنا التي هي التقدم والازدهار ومحو كل اثار التخلـف الفكري .

واننا لمتأكدون بان الاسبوع الثقافي الجزائري في تونس لـن يكون تظاهرة عابرة تطوى فيها الصفحات بمجرد انتهائها ، وانما سيكون انطلاقة جادة وعزما راسخا على مواصلة السير جنبا الى جنب لنستمد من بعضنا التجارب ونتبادل الخبرات حتى تتمكن من جعل جهودنا في الميدان الثقافي تسير متكاملة ثم متحدة في النهاية .

في مجال المحاضرات حاضر الاساتذة الدكتور ابو العيد دودو عن (مفهوم الثورة الثقافية في الجزائر) والدكتور ابو القاسم سعدالله عن (المدارس الثقافية في الجزائر) ورشيد بورويبة عن (قلعة بني حمـاد)

وبقاعة العرض الخاصة بالشركة التونسية للتوزيع اقيم معرض الكتب والمنشورات الجزائرية التي تم انجازها وتحقيقها منذ الاستقلال حتى الان ، واحتوى على اصناف مختلفة من الكتب التربوية والعلمية والادبية والقصص والمسرحيات والدواوين الشعرية . وحركة النشر في الجزائر تشير تحت شعار : « ان نكون رصيدا ثقافيا من نوع خاص وان نقدم بالتوالي للمواطنين في هذا الخضم الواسع من الافكار التي تعني

العالم الراهن ما يتيح لهم السير في كل آوان في الليل والنهار برفقة الانسان على اختلاف اجناسه » . وبقاعة الفنون اقيم معرض (الجزائر ماضيا وحاضرا) واحتوى على عدد كبير من النقوش والرسوم والادوات الحجرية والاواني الفخارية والقطع الحائطية المزخرفة الجميلة ومجموعة من اللوحات الخزفية . وكل هذه المعروضات اظهرت وجه الجزائر العربية المسلمة الاصيلة . والى جانب ذلك عرضت مجموعة من اللوحات الزيتية للرسامين الجزائريين المعاصرين ، اعطت لنا ملامح عامة عن حركة الفن التشكيلي في القطر الشقيق .

ان فن الرسم التقليدي يمثله الفنان الكبير محمد راسم المتخصص في فن النمنمة ، وسار على منواله جماعة تتلمذوا عليه هم محمد تمام وغانم والصحراوي . واما الفن الشعبي المجرد فيمثله بن عبورة في لوحات ذات مناظر مختلفة عن الجزائر العاصمة وباية في لوحاتها ذات الفن التقليدي العربي الملون وزميرلي وغيرهم . وبخصوص الرسم الواقعي الذي هو عبارة عن فن كلاسيكي فيمثله نصر الدين ديني واسياخم ويلس وبوزيد وغيرهم .

ونلاحظ في هذه المناهج المتعددة قوة اللون ورهافة الشاعرية وهي تعكس الحياة الحقيقية في الجزائر كما تعكس اللون والضوء في هذه الربوع وفي نفس الوقت تبرز المعالم الوطنية الاصيلة . واخيرا نسجل اسماء خدة ومصلي وابن عنتر وقرماز وزرارتي الذين يمثلون فن الرسم التشكيلي الحديث .

وكيفما كان الحال فان هذه المدارس جميعها تمثل المناظر الريفية والحياة في البادية او الحياة اليومية في المدن او مواضيع تتعلق بحوادث التاريخ كما نلاحظ فيها رموزا عديدة تعبر عن آلام الماضي وتبرز آمال المستقبل . ان جميع من ذكر من الفنانين الجزائريين يتطلعون دوما لتطوير فن الرسم والعمل على ترقيته ووضعه في مستوى آمال ومطامح الشعب حتى يواكب المجتمع الجزائري وتطلعاته .

وقدمت الفرقة المسرحية بوهران مسرحية بعنوان (الخبزة) تاليف واخراج عبد القادر علولو . وهي تعالج بعض قضايا التخلف كالجوع والجهل والاستغلال وذلك من خلال حي شعبي فيه كل شيء من المقهى الى البقال وتاجر الثياب القديمة والباعة المتجولين واصناف المارة . فكانت مثالا حيا موضوعا واخراجا للعمل الذي يتناول قضايا الجماهير لتقدم الى الجماهير ويتاثر بها .. والاثر المسرحي يقترب من وظيفته الاساسية عندما يتبنى قضايا الناس ويستوعب مشاغلهم الحيوية ونوعية العلاقات التي تجمع بين المواطنين في تعاملهم اليومي .

وشاهدنا عدة افلام جزائرية متنوعة المواضيع والاهداف من بينها بالخصوص شريط (سنعود) اخراج سليم رياض ومشاركة ممثلين من بلدان عربية مختلفة . والمخرج من جيل المخرجين الشبان ذاق التعذيب في المحتشدات الاستعمارية الفرنسية حيث اوقف عند اندلاع الثورة ولم يفرج عنه الا بعد الاعلان عن استقلال الجزائر . والفيلم مساهمة جادة في التعريف بماساة القرن العشرين وقضية العرب الاولى فلسطين الجريحة .. سنعود يقول (عائدون) لا محالة . ولكن بلغة غير مالوفة ومبتكرة . لهذا فهو يشد المتفرج لحركيته واهدافه ومشاكله ذات الابعاد العميقة . ومن ابرز اهدافه المقصودة ما جاء على لسان احد الممثلين : (نقصوا من الكلام وكثروا من العمل) .

البديل

تأليف الفيلسوف الفرنسي الشهير

روجيه غارودي ترجمة جورج طرابيشي

هذا آخر كتاب ألفه الكاتب الماركسي الفرنسي الكبير روجيه غارودي ، وهو ينطلق من السؤال التالي: ما هي الاشياء التي تفضحها الشبيبة ، وما هي الاشياء التي تبشر بها ؟ انه يتوجه الى الشبيبة اذن ، اي الى جميع الذين يعتقدون ان حياة الانسان ليست مصنوعة فقط لكي تقبل او تلعن، بل لكي تبدأ وتخلق. وسيكون بالامكان ان يبلغ هذا الكتاب هدفه اذا ساعد البعض على ان يعوا المأزق ويحاولوا الخروج منه . فاذا استسلمنا لانحرافات الحاضر المفجعة ، فان الانسان ومحيطه سوف يدمران خلال ثلاثين عاما ، بحيث لا يكون ثمة وقت للعيش ...

ان يعي الانسان الممكن ، هو ان يبدل مفهوم السياسة نفسها ، وليس هو الاعتقاد بوصفة ما سحرية تنقذنا من « الخارج » ، بلا مشاركتنا الشخصية . ليس ثمة تحرير ممنوح ، بل ثمة نار يمكن ان تشتعل . وقد تنطفيء هذه النار اذا لم يكن ثمة انسان مصمم على تغذيتها بأفضل ما في نفسه ووجوده .

واذن ، فان هذا الكتاب التزام : التزام بالنسبة لمن كتبه ، والتزام بالنسبة لمن يقرأه .

ويقول غارودي : لقد كنت مجبرا على كتابته لاظل امينا للحلم الذي كان يراودني وانا في العشرين . فهو يمثل في حياتي انقطاعا وتكملة في آن واحد، استئصالا وتأصيلا جديدين للجذور . »

صدر حديثا ثمن النسخة ٥ ل . ل